

05-02-1988

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علما ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة المؤمنون ، مع الدرس الثالث من سورة طه ، وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى :

﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى \* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى \* قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى \* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى \* لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾

#### الحكمة من عدم وقوع المعجزة أمام الملا :

أولاً : هذا النبي الكريم .. سيدنا موسى عليه وعلى نبيِّنا أتم الصلاة والتسليم .. يجب أن يعلم هو قبل غيره أنه نبي ، فحينما أمره الله عزَّ وجل أن يلقي العصا التي بيده فصارت حيةً تسعى ، فهذه معجزة ، قد يقول قائل : لِمَنْ ؟ هذه أولاً لسيدنا موسى ، ليعلم سيدنا موسى أنه نبيٌّ مُرْسَلٌ ، وأن هذه معجزة أيده الله بها لتكون حُجَّةً له على الذين يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى .

وقد يسأل سائل : لماذا كانت هذه المعجزة فيما بين موسى وبين ربِّه ، ولم تكن أمام الملا ؟ هذه أولاً ليتعرَّف النبي بشكلٍ قطعي أنه نبيٌّ مُرْسَلٌ ، وكذلك النبي عليه الصلاة والسلام حينما جاءه جبريل في غار جِراء ، عرف النبي يقيناً أنه نبي وأنه مُرْسَلٌ .

#### من فقه الفتوى : جواز إجابة السائل بأكثر مما سأل :

وشيء آخر : استنبط العلماء من هذا ، حينما سأل الله عزَّ وجل نبيّه فقال :

﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾

فإذا كان الجواب على قدر السؤال ينبغي أن يقول : هي عصا ، فلمَّا قال :

### ﴿ هِيَ عَصَاي ﴾

نسبها إلى نفسه .. فاستنبت بعض العلماء أنه يجوز أن يكون الجواب أكبر من السؤال ، أو أطول ، أو أوسع ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام سئل عن البحر فقال عليه الصلاة والسلام :

**(( هُوَ الظَّهُورُ مَاوُهُ الحِلُّ مَيْتَتُهُ ))**

( من سنن الترمذي عن أبي هريرة )

فالنبي عليه الصلاة والسلام أجاب أكثر من السؤال ، وقد ذكرت لكم في الدرس الماضي كيف أن هذا النبي الكريم أراد أن يطيل المناجاة مع الله عزَّ وجل لما في هذه المناجاة من سعادةٍ لا توصف ، فقال :

**﴿ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾**

وكيف أنه قد شعر لعله أطل ، وأساء الأدب ، فقال :

### ﴿ وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾

فإذا كان الله يحبُّ أن يتابع نبيُّه الحديث والحوار والكلام يقول له : وما هذه المأرب الأخرى يا موسى ؟ على كلِّ كانت الحكمة من هذا السؤال أن يُفِتَّ الله نظر سيدنا موسى إلى أن هذه التي بيده هي عصاه ، أنها بعد قليلٍ سوف تكون حَيَّةً تسعى ، لتكون المفارقة حادَّةً بين ماضي هذه الحَيَّة ، وبين حاضرها . لذلك تُروي كتب الأدب أن الحجاج لقي أعرابياً فقال له : " من أين أقبلت يا أعرابي ؟ " ، قال : " من البادية " ، قال : " وما في يدك ؟ " وكان في يده عصا ، قال : عصايَ أركُزها لصلاتي ، وأجعلها سترَةً لي ، وأعدُّها لِعُداتي ، وأسوق بها دابَّتِي ، وأقوى بها على سفري ، وأعتمد عليها في مشيتي لتتسع خطوتي ، وأثبُّ بها النهر ، وتؤمنني من العثر ، وألقي عليها كسائي .. أي ردائي .. فيقيني الحر ، ويدفني من القر .. القر هو البرد .. وتدني إليَّ ما بَعُدَ عني ، وهي مَحْمَلُ سفرتي .. طعامه .. وعلاقةِ إداوتي.. أي محفظة كتبه .. أعصي بها عند الضراب ، وأقرع بها الأبواب ، وأتقي بها عقور الكلاب ، وتنوب عن رمحي في الطعان ، وعن السيف في منازل الأقران ، ورثتها عن أبي ، وأورثها بعدي ابني.

### ﴿ وَأَهشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى ﴾

المأرب كثيرةٌ لا تُحصى ، فهذا هو التفصيل ، ما هي هذه المأرب ؟ مأرب كثيرة ، كان السلف الصالح يحمل بيده عصا يستعين بها في المشي ، ويقرع بها الباب ، ويقتل بها الحيوان العقور ، وهكذا ..

**﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى \* فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى \* قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾**

## معجزة انقلاب العصا إلى ثعبان مبین :

ليس القصد إخافتك يا موسى ، خذها ، تروي بعض الكتب أنه خاف منها ، فأمسكها بطرف عباءته ، فقال : خذها بيدك ، ولا تخف ..

﴿ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾

## الخوف من طبيعة البشر :

والخوف من طبيعة البشر ..

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا(19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ(22) ﴾

( سورة المعارج )

﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا(28) ﴾

( سورة النساء )

﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا(11) ﴾

( سورة الإسراء )

فإن يكون الإنسان عجولاً ، وأن يكون ضعيفاً ، وأن يكون هلوياً ، وأن يكون جزوعاً فهذه من طبيعة البشر ، إنها ضعفٌ في بنيتهم ، ولكن هذا الضعف لصالحهم ، ولأن الإنسان حينما خُلِقَ ضعيفاً من أجل أن يستعين بالله عزَّ وجل ، وأن يلتجئ إليه ، وأن يتوكَّل عليه ، فلو أن الله عزَّ وجل خلقه قوياً لاستغنى بقوته ، وشقي باستغنائه ، ومن حكمة الله عزَّ وجل أن الإنسان خُلِقَ هلوياً .

﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى \* وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى \* لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴾

آيتان : الآية الأولى العصا ، وكيف أنه إذا ألقاها تصبح حيَّةً تسعى ، والآية الثانية يده حين أدخلها تحت إبطه ..

﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾

لا تؤذي أنت ، ولا تؤذي بها ، لكنها تخرج متألِّقةً منيرةً كالشمس ..

﴿ آيَةً أُخْرَى \* لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى \* أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى \* قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴾

## شرح الصدر مُقَدَّم على التيسير في الأمر :

وبَيَّنَّت في الدرس الماضي كيف أن شرح الصدر مُقَدَّم على التيسير في الأمر ، لأن الإنسان ينطلق أول ما ينطلق من حاجةٍ نفسيةٍ ، فإذا كان هناك انشراحٌ لإبداء هذا الأمر أقدم عليه ، فإذا كان هناك انشراحٌ لإمضاء هذا الأمر ، ولم تكن وسائله ميسرةً لم يحقِّق الهدف ، لذلك لا بدَّ من شرح الصدر ، وتيسير الأمر ..

**{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي \* وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي \* وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي}**

وبعض الآيات تؤكد أن هذا النبي الكريم .. في هذه الآية طبعاً ، وفي آياتٍ أخرى أن في لسانه عقدةً ، أي لم يكن طليقاً في الكلام طلاقة أخيه هارون .

## الفصاحة الجنان لا فصاحة اللسان :

وحول هذا الموضوع قصَّةٌ طريفة جرت بين واعظٍ ونحوي ، فقد جلس نحويٌّ .. أي عالمٌ بالنحو .. في مجلس واعظ ، فَلَخَنَ الواعظ .. أي أخطأ في حركة بعض الكلمات .. فقال النحوي : " أخطأت " ، هكذا قالها أمام تلاميذه ، فقال له الواعظ : " أيها المُعرض في أقواله ، اللاحن في أفعاله ، أكل هذا لأنني رفعتُ ، ونصبت ، وخفضت ، وجزمت ؟ فهلاً رفعت إلى الله يديك بالدعاء ؟ ونصبت بين عينيك ذكر الممات ؟ وَخَفَضْتَ نفسك عن الشهوات ، وجزمتها عن فعل المحرِّمات ، أفلا تعلم أنه لا يُقال للمسيء يوم القيامة : لِمَ لَمْ تكن فصيحاً مُعرباً ؟ وإنما يقال له : لِمَ كنت عاصياً مذنباً ؟ ولو كان الأمر بالفصاحة لجعل الله الرسالة في هارون ، ولم يجعلها في موسى ، فقال تعالى إخباراً عنه :

**{وَإِخِي هَارُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا}**

(سورة القصص : من آية " 34 " )

فجعل الله تعالى الرسالة - في موسى - لفصاحة جنانه لا لفصاحة لسانه ، فالأمر تابعٌ للجنان .. أي للقلب .. لا لللسان " .

فالفصاحة وحدها لا قيمة لها ، أما إذا أضيفت الفصاحة إلى قلبٍ مُفَعِّمٍ بذكر الله عندئذٍ توتى ثمارها .. دخل على سيدنا عمر بن عبد العزيز وفد الحجازيين ، فقام غلامٌ لا تزيد سنُّه على إحدى عشرة سنة ، فقال الأمير : " اجلس أيها الغلام ، وليُفَمَّ من هو أكبر منك سنّاً " ، فقال : " أصلح الله الأمير ؛ المرء بأصغريه ؛ قلبه ولسانه ، فإذا وهب الله العبدَ لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً فقد استحقَّ الكلام ، ولو أن الأمر كما تقول لكان في الأمة من هو أحقُّ منك بهذا المجلس " ..

فذلك جعل ربنا عزَّ وجلَّ لحكمةٍ بالغةٍ في أنبيائه مجتمعين أشياء كثيرة ، تكون هذه الأشياء دروساً بليغةً ، جعل في لسان نبيِّ مُرسَلٍ من أولي العزم عُقْدَةً ، وجعل لنبيِّ آخر أبناً ضاللاًً .. سيدنا نوح ..

وجعل لنبي آخر زوجة ليست مؤمنة برسالته ، وجعل نبياً فقيراً ، وجعل نبياً ملكاً ، فحينما تدور الأمور كلها مع الأنبياء هذا من أجل أن يُفصل الإيمان عما يلبس بعض الناس من حالاتٍ متفاوتة ..

﴿وَاحْتَلَّ عَفْدَةً مِنْ لِسَانِي \* يَفْقَهُوا قَوْلِي \* وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي \* هَارُونَ أَخِي \* اشْتَدُّ بِهِ أَزْرِي \* وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي \* كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾  
طبعاً التسبيح والذكر المقصود به الكثرة ، لقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (41) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (42)﴾

( سورة الأحزاب )

فلذلك المطلوب هو الكثرة ، ومن علامة المنافقين أنهم لا يذكرون الله إلا قليلاً ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

**(( من أكثر ذكر الله عزَّ وجل فقد برئ من النفاق ))**

( الجامع الصغير عن أبي هريرة بسند ضعيف )

﴿ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا \* وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا \* إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا \* قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾  
يا أيُّها الإخوة المؤمنون ... المؤمن حينما يدعو الإنسان دعاءً يتعلَّق بصالح آخرته ، أو صلاح نفسه ، أو تطهيرها ، أو تحليتها بالكمال ، فهذا الدعاء دُعاءً طيِّبٌ جداً ، والله سبحانه وتعالى يستجيب له ..

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾

فإذا دعوت الله عزَّ وجل أن يهديك سواء السبيل ، وأن يجعلك هادياً مهتدياً ، وأن يحفظك من شرِّ ما خلق ، فلذلك كما قال عليه الصلاة والسلام :

**(( الدُّعَاءُ مَخُّ الْعِبَادَةِ ))**

( من سنن الترمذي عن أنس بن مالك )

و:

**(( الدعاء هو العبادة ))**

(الترمذي ، أبو داود ، ابن ماجه عن النعمان بن بشير)

و :

**(( ومن لا يدعني أغضب عليه ))**

( ورد في الأثر )

و :

## (( وإن الله يحبُّ الملحين في الدعاء ))

( الجامع الصغير عن عائشة بسند فيه مقال )

و :

## (( لا يردُّ القضاء إلا الدعاء ))

( الترمذي عن سلمان بسند حسن )

القضاء الذي يُردُّ بالدعاء .

﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى \* وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴾

أي أنك هنا سألتنا فأجبناك ، لكننا في الماضي مَنَّنا عليك من فضلنا من غير أن تسألنا ، فلأن نُجيبك هذه المرّة فمن باب أولى ، وإذا كنت قد سألتنا فأجبناك ، لكنّه في الماضي لم تسألنا فأعطيناك .

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى \* إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾

### أنواع الوحي :

#### 1 - وحي الإلهام :

قال العلماء : " هذا وحي الإلهام " .

#### 2 - وحي الغريزة :

وهناك وحي الغريزة .

﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾

( سورة النحل : من آية " 68 " )

وهناك وحي الإلهام .

#### 3 - وحي الرسالة :

وحي الرسالة عن طريق سيدنا جبريل .

وأغلب العلماء على أن هذا الوحي لأم موسى هو وحي إلهام ..

﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ \* أَنْ أَذْفِفِيهِ فِي التَّابُوتِ ﴾

### عناية الله وحفظه لموسى عليه السلام منذ ولادته :

أي في الصندوق ..

﴿ فَأَفْذِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ ﴾  
﴿ فَلْيُلْقِهِ ﴾

هذه اللام لام الأمر ، والبحر مأمورٌ أن يُلقِي هذا الصندوق على شاطئ قصر فرعون ، فإذا كانت أمواج البحر أو ذرّات مياه البحر مؤتمرةً بأمر الله عزّ وجل فهل في الحياة شيءٌ أكبر من ذلك يستعصي على الله عزّ وجل ؟ إذا الأمر كلُّه بيد الله .

﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾

( سورة هود : من آية " 123 " )

وهذه الآية جزءٌ أساسيٌّ من مغزى القصّة ..

﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

معنى : وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي

المعنى الأول :

من أوجه تفسيرات هذه الآية أن الله أحبّه وحبّبه إلى خلقه ، لذلك إذا أحبّك الله ، فمن لوازم محبّة الله عزّ وجل أن الخلق كلّمهم يحبّبونك ، فإذا أحبّك الخلق فهذه علامة محبّة الله لك ..

﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي ﴾

والحديث القدسي الذي أتله على مسامعكم كثيراً هو قول سيدنا داود :

(( يا رب من أحبّ الناس إليك حتى أحبّه بحبّك ؟ فقال : يا داود أحبّ الناس إليّ تقي القلب ، نقي

اليدين ، لا يمشي إلى أحدٍ بسوء ، أحبّني ، وأحبّ من أحبّني ، وحبّيني إلى خلقي ))

( ورد في الأثر )

فدور العبد الصالح مع ربّه أنه يحبّ الله ، ويحبّ أحبّابه ، ويحبّ الخلق إليه ، إذا أحبّك الله عزّ وجل حبّب الناس إليك ، وإذا أحببتّه أنت يجب أن تحبّه ، وأن تحبّ من يحبّه ، وأن تحبّ الناس إليه .. فقال :

(( أحبّ الناس إليّ تقي القلب ، نقي اليدين ، لا يمشي إلى أحدٍ بسوء ، أحبّني ، وأحبّ من أحبّني ،

وحبّيني إلى خلقي ، فقال داود : يا رب إنك تعلم أنّي أحبّك ، وأحبّ من يحبّك ، فكيف أحبّك إلى خلقتك

؟ قال : ذكّرهم بآلاني ، وبنعماني ، وبلاني ))

( ورد في الأثر )

إذا ذكّرت الخلق بآلاء الله ، وبنعمائه ، وببلائه فقد حبيت الخلق إليه ، إن ذكّرتهم بآلائه استعظموه ، وإذا استعظموه طبّقوا أمره ، وإنك إن ذكّرتهم بآلائه استعظموه ، وإنك إن ذكّرتهم بنعمائه أحبّوه ، وإذا أحبّوه طبّقوا أمره ، وإنك إن ذكّرتهم

ببلائه خافوا منه ، وخوفهم منه يحملهم على تطبيق أمره ، فالهدف واحد ، وهو أن يطيعوه ، إما أن يطيعوه عن طريق التعظيم ، وإما أن يطيعوه عن طريق المحبة ، وإما أن يطيعوه عن طريق التخويف ..

### (( ذَكَرَهُم بِآلَائِي وَنِعْمَائِي وَبِلَائِي ))

المعنى الثاني :

قال بعض المفسرين :

#### {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}

أَي رَحْمَتِكَ فَأَحْبَبْتَ النَّاسَ ، فَإِذَا تَجَلَّى اللَّهُ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ بِالرَّحْمَاتِ انصرفت قلوب الناس إليه ، لأن قلبه يصبح مهبطاً لتجلي الله عز وجل ، وعندئذ تهفو القلوب إلى هذا القلب المتصل ، فلو أن الإنسان أُتيح له أن يلتقي بنبي عظيم فلا توصف مقدار السعادة التي تتأتى من مجرد اللقاء ، ولو لم ينطق بكلمة ، إن هذه النفوس العظيمة التي أقبلت على الله عز وجل ، واستنارت بنوره فكانت مهبطاً لتجليات الله عز وجل ، فإذا كان هناك لقاء ، أو اتصال ، أو محبة ، أو محاكاة بينك وبين قلب المتصل سررت هذه الصلة إلى قلبك ، لذلك :

#### {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}

من معانيها أنني أحببتك ، وجعلت الخلق كلهم يحبونك .

المعنى الثالث :

أنني تجليت على قلبك فهفت القلوب إليك ، ولذلك يقال : إن النبي عليه الصلاة والسلام كان أصحابه لا يطيقون فراقه أبداً ، كان بعض أصحابه يخدمه ، فلما حان وقت الانصراف بقي على عتبة داره لشدة أنسه ، وسعادته بهذا القرب ..

#### {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}

أي أحببتك ، وجعلت الخلق يحبك ..

#### {وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي}

أي تجليت على قلبك فهفت القلوب إليك .

#### {وَلِتَصْنَعْ عَلَيَّ عَيْنِي}

المعنى الرابع :

شيء آخر - أي معنى آخر - أحياناً يلقي الله عز وجل على إنسان محبته فيحبه الناس ، وهكذا قال بعض المفسرين ، أي أنه ألقى عليه مسحة من جمال أخاذ ، فإذا كل من النظر إليه هفا إليه ، وكان غلاماً صغيراً فألقى عليه مسحة من جمال ، فلما رآته امرأة فرعون أحبته ، وقالت : لا تقتلوه ، عسى أن ينفعنا ، فلما رآه فرعون قبل أن ينجو هذا الغلام من القتل ، أي أنه ألقى عليه مسحة من جمال .



والمرأة التي تُخَطَّبُ ، ويتزوّجها زوجها ، ويكرمها ، ويجعلها في موضع تكريمه ورعايته ، ويسكنها في بيتٍ مريح ، ويأتيها بالطعام ، والشراب ، واللباس ، إيّاها أن تظنّ أن هذا ضروريٌّ لها ، لولا أن الله عزَّ وجل ألقى عليها مسحةً لما خطبها أحد ، فالفضل لله عزَّ وجل ، لو تعلّم المرأة أن الذي جعل الناس يُقبِلون على خطبتها هو الله عزَّ وجل ، لأنه جعلها كاملةً مرضيةً في أعينهم ، ولو لم تكن كذلك لما أقدم أحدٌ على خطبتها ، إذاً هذه محبةُ الله أيضاً .

أتى الله الإنسان عقلاً ، وآتاه حواس تامّةً فيجّله الناس ، وعظّموه ، واحترموا مثلاً ، فهذا فضل الله عزَّ وجل ، ولو أن في العقل خللاً لما أقبل أحدٌ عليك ، لو أن في الخلق عيباً خطيراً لما أقبل أحدٌ عليك ، ولنفر الناس منك ، إذاً إذا أقبل الناس عليك فهذا من فضل الله عزَّ وجل ، وعلامة المؤمن أنه يرى فضل الله عليه دائماً ..

### ﴿ وَالْأَقْبَتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾

هذه كنايةٌ أن الله عزَّ وجل رعاه رعايةً تامّةً ، فحينما يكون الابن في قلب أمّه تراها تنظر إليه دائماً حيثُما انتقل ، فالآية إشارةٌ إلى أن الله عزَّ وجل هو الذي ألقى عليه مسحةً من جمال ، وهو الذي ألقى عليه محبّته ، وهو الذي أوحى إلى أمّه أن اذفيه في التابوت ، وهو الذي أمر الموج أن يسوق هذا الصندوق إلى شاطئ القصر ، وجعل الجوّاري يأخذن هذا الصندوق إلى امرأة فرعون ، وهو الذي ألقى في قلب امرأة فرعون محبةً هذا الغلام ، وجعل فرعون يرضى أن ينجو هذا الغلام من الذبح ، هو الذي جعله يتربّى في قصر فرعون ، كل هذه الحوادث إنها ..

### ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾

إنّ الله سبحانه وتعالى هو الربّ المُمدّد ، الذي يَهَبُ الجميل ، ويثيب عليه ، والدليل أن هذا الأمر كلّهُ بيد الله ..

### ﴿ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ﴾

أي دخلت أختك إلى قصر فرعون ، وقد تروي بعض الأخبار أنها وضعت أختها على ثديها فالتقمه ، بينما لم يرض أن يلتقم ثدي أي امرأةٍ أخرى ، وربنا عزَّ وجل قال :

### ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾

( سورة القصص : من آية " 12 " )

فقال العلماء : " هذا تحريمٌ منعٍ لا تحريمٍ شرعٍ " .

### ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾

إلى أن جاءت أخته ، ووضعتة على ثديها فالتقم ثدي أخته ، لكن أخته ليس في ثديها حليب ، قالت : أنا أتاكم بأمي ، أمي في ثديها حليب ، فجاءتهم بأمه فالتقم ثديها ..

﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾

إذا :

﴿وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي \* إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَفَتَلَّتْ نَفْسًا﴾

وَقَتَلَتْ نَفْسًا فَجِينَاكَ مِنَ الْغَمِّ :

وقد جاء في صحيح مسلم أن هذا القتل هو قتل خطأ ، وليس قتل عمد ، وتصوّر ، إنه قتل خطأ ، وقد ظهر من هذا القتل حرص هذا النبي الكريم على أن يكون مع الحق ، وليكن الثمن ما يكن ..

﴿فَجَجِينَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾

من غم القصاص ، ومن غم الملاحقة ، ومن غم السجن ..

﴿فَجَجِينَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَلَّتْ نَفْسًا فَلَبِثَتْ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾

جئت في الوقت المناسب ، أو جئت على القدر الذي قدرناه نحن لك ..

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

تفسير : وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي

الاصطناع من الصنيع ، والصنيع هو المعروف ، فأولاً اخترتك ، ثم جعلتك محل إكرامي ، وعطائي ، اخترتك ، وأعطيتك ، وكرمتك لتكون هادياً إلي ..

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

فأنت قد هُيئت ، وأعطيت كل الوسائل التي تستطيع بها أن تكون هادياً إلي ، وذلك لأن الله عز وجل علم منه الصدق ، وعلم منه الذوبان في محبة الله عز وجل ..

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾

إنها أعلى مرتبة يبلغها إنسان على وجه الأرض ، أن يكون هادياً إلى الله عز وجل ..

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي \* أَذْهَبُ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾

أذهب إلى فرعون إنه طغى

﴿لَا تَنِيَا﴾

أي لا تتباطأ في ذكرى ..

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾

تجاوز الحدَّ المعقول ، فخرج عن دائرة القبول ..

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾

من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف :

قال عليه الصلاة والسلام :

(( من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ))

( ورد في الأثر )

وقال تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾

( سورة آل عمران : من آية " 159 " )

(( من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف ))

قال رجل لأمير : " سأعظك بغلظة " ، فكان هذا الأمير أفقه من الواعظ ، قال له : " لم الغلظة يا أخي ؟ لقد أرسل الله من هو خيرٌ منك إلى من هو شرُّ مني ، أرسل موسى إلى فرعون ، فهل أنت كموسى ؟ لا ، وأنا كفرعون ؟ لا ، لم الغلظة يا أخي ؟ " .

﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾

حتى إن بعضهم قال : " يا رب إذا كانت هذه رحمتك بمن قال :

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾

فكيف رحمتك بمن قال : سبحان ربي الأعلى؟! وإذا كانت هذه رحمتك بمن قال :

﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾

فكيف رحمتك بمن قال : لا إله إلا الله؟! المرسل إليه هو فرعون ..

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ﴾

وقال بعض العلماء : " القول اللين أن تناديه بلقبه ، أو بكنيته ، أو بالاسم الذي يُحبُّه ، هذا من القول اللين ، فإذا كنت مع إنسان ، وترجو منه الخير ، فإذا ناديت به باسمٍ يحبُّه ، أو لقبٍ علميٍّ يحبُّه ، أو رتبةٍ يحبُّها ، أو كنيةٍ يحبُّها فهذا من القول اللين ، وإذا ناديت به باسمٍ يحبُّه ، أو لقبٍ ، أو مرتبةٍ ، أو شيءٍ من

هذا القبيل ، فهذا من القول اللين ، وسوف ترون معي بعد قليل كيف كان قول هذا النبي العظيم لفرعون؟

﴿ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ \* فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾

إذاً الأمل واسع وقائم ، وفرص الهداية متوافرة في فرعون ، وإلا لما كان هناك من معنى أن يُرسل الله عز وجل موسى إلى فرعون .

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴾

تفسير : يُفْرِطُ عَلَيْنَا

أي أن يسارع بالعقوبة ، أن يسارع في قتلنا ، أو في تعذيبنا ، أو أن يزداد طغياناً ، حينما يعارض فرعون الحق يزداد طغياناً على طغيانه ..

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴾

الخوف من جبلة الإنسان :

ورد في بعض الكتب : " أن الخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه ، مع معرفتهم به ، وثقتهم بنصره " ، الخوف من طبيعة البشر ، يا ترى هل يُعدُّ خوف هذا النبي الكريم من مواجهة فرعون نقصاً في إيمانه ، أو نقصاً في توكله ، أو ثغرة في ثقته بالله عز وجل ؟ قال بعض العلماء : " لا " .. فقد روي أن رجلاً اسمه عامر بن عبد الله نزل مع أصحابه في طريق الشام على ماء ، فحال سبع مفترس بينهم وبين الماء .. أي هم يبتغون هذا الماء ، وبينهم وبين الماء سبع مفترس .. فجاء عامر إلى الماء فأخذ منه حاجته .. هذا عامر بن عبد الله توجه إلى الماء ، ولم يبال بالسبع ، وأخذ منه حاجته .. فقيل له : " لقد خاطرت بنفسك يا عامر ، وغامرت ، فقال : " لأن تختلف الأسنّة في جوفي أحبُّ إليّ من أن يعلم الله أنني أخاف شيئاً سواه " ، بعضكم أعجب بهذا الموقف ، أما سيدنا الحسن البصري ردّ عليه فقال : " لقد خاف يا عامر من هو خير منك " ، وجاء بالآيات التي ذكرت قول مؤمن آل فرعون لسيدنا موسى ..

﴿ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ(20)فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا

يَتَرَقَّبُ ﴾

( سورة القصص )

الآيات التي أثبتت خوف موسى من فرعون وقومه :

نبي عظيم ، نبي مرسل ، من أولي العزم .. ومع ذلك :

الآية الأولى :

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾

الآية الثانية :

﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾

( سورة القصص : من آية " 18 " )

الآية الثالثة :

﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾

( سورة طه )

فإذا كان النبي المرسل الذي هو من أولي العزم يخاف فهذا الخوف من طبيعة البشر ، وليس قدحاً في إيمانه ، ولا في توكله ، ولا في ثقته بنصر الله عز وجل ، ولكن طبيعة البشر هكذا ، والخوف من طبيعة البشر ليكون الخوف دافعاً لهم إلى التوكل على الله ، والالتجاء إليه ، والثقة بنصره .

﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ﴾

أفرط عليهم أي أسرع بعقوبتهم ..

﴿ أَوْ أَنْ يَطَّغَى ﴾

الطغيان تجاوز الحد ..

﴿ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا ﴾

معية الله : معكما أسمع وأرى :

أين أنا ؟ أنا معكما ..

﴿ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾

من هنا قال بعضهم : " إذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ " ..

إذا كنت في كل حالٍ معي فعن حمل زادي أنا في غني

\*\*\*

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا

حَسَنًا ﴾

( سورة المائدة : من آية " 12 " )

أي أن معية الله ليست حكرًا على أحد ، لكنها لكل الناس بهذا الشرط ، معية الله لكل مؤمن بشرط أن يكون مقيماً للصلاة ، مؤتياً للزكاة ، يرعى حقوق الله ، مُعزراً لرسله وأنبيائه .

﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾

لقد طمأنهما ربنا عز وجل ..

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾

إيذاء فرعون لقومه :

يبدو أن هؤلاء القوم كان قد عذبهم فرعون كثيراً ؛ ذبح أبناءهم ، واستحيا نساءهم ، وجعلهم يعملون عملاً بلا أجر ، أرهقهم في الأعمال ، وانتهب منهم الأموال ، وقتل أبناءهم - وهكذا -

﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾

السلام على من اتبع الهدى :

لم يقلوا : " السلام عليك " ، السلام على من اتبع الهدى ، الذي اتبع الهدى وحده يستحق السلام ، والسلام اسم من أسماء الله عز وجل ، من منحه الله السلام لا يستطيع مخلوق على وجه الأرض أن ينال منه .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾

( سورة فصلت : من آية " 30 " )

مُنِحُوا السَّلَامَ ..

﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾

( سورة الأحزاب : من آية " 44 " )

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾

من أساليب الدعوة : التوجيه اللين اللطيف :

هذا من التوجيه اللطيف ، وهذا من القول اللين ، لم يقل سيدنا موسى: أن يا فرعون سوف يعذبك الله عز وجل ، لا ..

﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾

فإذا أردت أن تنصح إنساناً غارقاً في المعاصي فلا تقل له : أمامك مصائب ، وأمامك عقوبات شديدة ، بل قل : الله عز وجل يعاقب المنحرف ، ويعاقب العاصي ، ولا تتوجّه إليه بالذات ، بل بيّن له بعض القواعد ، بعض السنن ، والقوانين في كتاب الله من دون أن تجعله هدفاً لموعظتك ..

﴿ أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى \* قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾

حوار حول إثبات الربوبية :

من ربكما ؟ ..

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

أي أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ثم أعطاه فكراً ، وقوّة إدراكيّة يعرف بها الخير من الشر ، والحقّ من الباطل ، وما ينفعه ، وما يضرّه ، هداة إلى طريق سعادته ، وخلقته خلقاً كاملاً ، وأعطاه قوّة إدراكيّة يهتدي بها إلى طريق سعادته ، أعطاه وهداه ..

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

من صور هداية الله لمخلوقاته :

1 - هداية الله للحيوان :

الحيوان خلقه في أبداع تكوين ، ثم هداه إلى طعامه وشرابه ، وهداه إلى بناء عشّته ، وإلى رحلة طويلة ، لا يزال العلم حتى الآن حائراً في طريقة اهتداء الطيور إلى أهدافها البعيدة ، أعطى السمكة الخلق الأكمل ، ثم هداها لرحلة تقطع بها عشرات الألوّف من الأميال ، كل مخلوق هداه الله إلى سبيل العيش ، كيف يعيش ، وكيف يأكل ، وكيف يأوي إلى عشّته أو إلى جحره ، هذه هداية الله عزّ وجل ، عبّر عنها بعض علماء الغرب "بالغريزة" ، والغريزة كلمة لا معنى لها ، فالحيوان يقوم بأفعال ذكيّة جداً من دون تعليم .

2 - هداية الله للطفل الرضيع :

فهذا الطفل الصغير الذي يولد لتوّه يلتقم ثدي أمّه ، التقام الثدي عمليّة معقّدة ، فيها إحكام شفّتيه على حلمة الثدي ، وفيها سحب الهواء كي يخرج له الحليب ، وفيها أشياء كثيرة ، العلماء قالوا : " هذا منعكس المص يولد مع الإنسان " ..

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾

فلو أن هذا الطفل الصغير لا يعرف كيف يلتقم ثدي أمّه لمات جوعاً ، وليس في الإمكان أن تُعلّمه ، وهو دون أن يُعلّم ، فليس عنده إدراك ، ولا لغة ، ولا قدرة على الاستيعاب ، ولذلك لولا منعكس المصّ الذي خلقه الله عزّ وجل في الطفل الصغير لما عاش إنسان على وجه الأرض .

وهذه الآية يمكن أن تؤلّف حولها مجلّدات ..

﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾

أعطى الإنسان خلقه الكامل ، ثم هداه إلى طريق الخير والشر ، وأعطى الحيوان خلقه الكامل ، ثم هداه إلى كسب رزقه وإلى عيشه ، أما قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴾

سؤال من فرعون : فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى

قال بعض العلماء : " أراد فرعون من هذا السؤال أن يصرف موسى عن هدفه من المناقشة ، وأن يحوِّله إلى موضوع آخر ، أو أنه أراد أن يقول له : هؤلاء الأقوام الذين جاؤوا قبلنا لِمَ لم يهدهم الله عزَّ وجل كما تقول أنت ؟ أو أنه أراد بهذا أن يسأله عن غيب الماضي لتوهمه أن هذا النبي الكريم يعلم الغيب " ..

﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى \* قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي ﴾

جواب موسى عليه السلام :

أنا عبدٌ فقير لا أعلم من الغيب شيئاً ..

﴿ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾

تفسير قوله : فِي كِتَابٍ

إنَّ الله عزَّ وجل لا يحتاج إلى كتابٍ يكتب فيه الماضي ، ولكنَّ العلماء قالوا : " إن الكتاب هنا بمعنى أن يؤكد لعباده أن علم هذه القرون الأولى لا يخفى عليَّ منه شيء " ، أي هو بحسب تصوُّر الخلق ، الله عزَّ وجل غنيٌّ عن أن يكتب ، أو أن يثبت هذا في كتاب ، لكن كلمة كتاب هنا جاءت لتبيِّن أن الله عزَّ وجل بحسب تصوُّر الناس أنه شيءٌ مكتوب ..

﴿ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى \* الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ سَبَّيْ \* كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى \* مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾

هذه الآيات تحتاج إلى تفصيلٍ ، أرجو الله سبحانه وتعالى في الدرس القادم أن يوفقني إلى توضيح بعض الأمثلة التي تعمق فهمنا لهذه الآيات ، ولاسيما الآية التي كما قلت قبل قليل يمكن أن يفصل فيها تفصيلاً كافياً .

﴿ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى \* قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾